المقاربات النظرية للانتحار
محاولة تقييمية نقدية

د/ابراهيم بوالفلفل*

ملخص:

تهدف هذه الورقة العلمية إلى عرض تحليلي نقدي وتقييمي لأهم المقاربات النظرية للانتحار،بدءا بالمنظور السوسيولجي متمثلا في المنظور الدوركايمي للانتحار وكذا نموذج التفكك لهلبفاكس، ثم نموذج جيبس و مارتن لاندماج المكانات، وعرّجنا بعدها على المقاربة الاقتصادية للانتحار معتمدين في ذلك على نموذج الاختيار العقلاني، بعدها النظرية الإستراتيجية لبيشلر. ولقد حاولنا تحليل وتقييم ونقد بعض جوانب هذه المقاربات النظرية واعتماد المقارنة فيما بينها من اجل إبراز أوجه التشابه والاختلاف فيما بينها ونقاط الضعف وجوانب القوة.

Abstract:

This paper aims to present a critical analysis of the most important theoretical approaches of suicide, starting with the sociological perspective, Represented in the Durkheimien perspective of suicide, as well as the Halbwach disintegration model ,then the Gibs and Martin's integration status model. After, we have focused on the economic approach of suicide, relying on the rational choice model. Finally, we talked about Beachler's strategic theory. We have attempted to analyze, evaluate and criticize certain aspects of these theoretical approaches and compare them by highlighting similarities, differences, weaknesses and strengths sides.

* أستاذ محاضر –أ– جامعة محمد الصديق بن يحي –جيجل

مقدمة:

لقد اهتم العلماء و الباحثون في مختلف مجالات البحث الإنساني والاجتماعي بالسلوك الانتحاري، وبتعدد و اختلاف زوايا النظر و الدراسة اختلفت و تنوعت تصنيفاتهم لهذا السلوك ألانحرافي وتفسيراتهم له وتحديدهم للعوامل المساهمة أو المؤدية بالأشخاص إلى ارتكابه، فمنهم من ركز على البعد النفسي في السلوك الانتحاري، ومنهم من ألقى الضوء على البعد السوسيولوجي للظاهرة، وهناك من ركز على بعدها العقلاني،وسوف نركز في مقالنا هذا على بعض هذه الأبعاد من أجل إلقاء الضوء على أهم التفسيرات والمقاربات التي تناولت هذه الظاهرة بالتحليل والتفسير.

I – المقاربة السيولوجية لظاهرة الانتحار :

لقد جعلت السوسيولوجيا موضوع الانتحار في مركز اهتماماتها مبكرا ،في الواقع لقد وضع الانتحار ديناميكية التماسك الاجتماعي على المحك و جعلها محل تساؤل، و هو يشكل ظاهرة مفضلة من اجل فهم الروابط بين الفرد و الجماعة، بين علم النفس و علم الاجتماع،كما مثل تحليل ظاهرة الانتحار مركز و بؤرة اهتمام المحاولات الأولى للسوسيولوجيا الأمبريقية، فإذا ما ذهبنا ما وراء الأسباب أو الاستعدادات الفردية التي يعنى بها علم النفس الفردي، فإنه يمكننا التساؤل عما إذا كانت هناك قوى اجتماعية أو بالعكس ثغرات داخل مجتمع معين، قد تسمح لنا بفهم أحسن لسبب تزايد الانتحار ضمن ثقافة معينة مقارنة بثقافة أخرى ، هل الغموض في المعالم الاجتماعية و الابتعاد عن الديانات، و ضعف أنواع التضامن الاجتماعي يساهم في تزايد نسب السلوك الانتحاري ؟

إن ظهور كتاب « الانتحار » لعالم الاجتماع " **إميل دوركايم**" في نهاية القرن التاسع عشر (19) يعتبر مؤلفا مؤسسا للسوسيولوجيا الامبريقية، فبالرغم من أن قضية الانتحار قد تم تناولها قبله، فإن **دوركايم** يبين في عرض له يحلل من خلاله الإحصاءات الأوروبية التي تعود إلى القرن الذي عايشه بأن الانتحار ليس موضوعا ينتمي حصريا إلى مجال الأخصائيين في الأمراض العقلية، و لكنه بالأحرى سلوكا اجتماعيا نتج عن طريق قوى اجتماعية تتجاوز الفرد، إن هذا الطرح أصيل بالمعنى الذي جعل آليات تفسير انتشار ظاهرة الانتحار تتمحور حول مفاهيم علم الاجتماع **الدوركيمي** و بالرغم من عدم تجاهله لوجود اضطرابات النفسية كأسباب مصاحبة للانتحار غير أنه جعلها في الدرجة الثانية، إن هذه الفرضية لا زالت قائمة بعد مرور أكثر من قرن من الزمن، حيث تواصل النظرية **الدوركيمية** تنشيط النقاشات العلمية خاصة منذ الترجمة الانجليزية في سنة 1954 و الاهتمام الذي أولاها إياه الاستاذ **تالكوت بارسونز** من جامعة **هارفارد** [1] .

1- نموذج الثنائية القطبية :

يعتبر **دوركايم** الإنسان « **حيوان اجتماعي** » فهو بهذا التعريف يعتبره ذا شقين : بيولوجي من جهة و اجتماعي من جهة أخرى ، مما يجعله يشكل خطرا على المجتمع عن طريق رغباته و إرادته اللامحدودة فلحفظ التماسك الاجتماعي لابد من ضغط مزدوج يمارس من خلال المؤسسات المختلفة (السياسية، العائلية،

الدينية) فالمجتمع عليه في الوقت ذاته كبح و ضبط الرغبات اللامنتهية للفرد و النابعة من شقه الحيواني أو من طبيعته الحيوانية ، و كذا جعله يؤدي دوره الاجتماعي من اجل تحقيق غاياته الشخصية [2] .

فهنا يستعمل **دوركايم** مصطلحين أساسيين يعرف الأول بـ " **الضبط الاجتماعي** " و الثاني يطلق عليه اسم " **الاندماج الاجتماعي** " فكليهما يمارسان على الفرد تأثيرات مختلفة، فالاندماج " **يؤطر الفرد** " بإعادة التماسك للنسيج الاجتماعي، أما الضبط فيضع حدودا للأهواء و الرغبات كما يضبط كذلك الحياة الاقتصادية [3]، و إذا رجعنا إلى كتاب **دوركايم** عن تقسيم العمل يمكننا تلمس مدى الارتباط بينه و بين كتابه عن الانتحار، حيث يؤيد بصفة عامة ظاهرة التقسيم العضوي للعمل، و يرى فيه تطورا طبيعيا و سعيدا في نهاية الأمر بالنسبة للمجتمعات الإنسانية و يعتبر التنوع في المهن و تراجع سلطة التقليدي و تزايد سلطة العقل و تطور الهامش المتروك للمبادأة الشخصية تطورا حسنا.

بالرغم من أنه يسجل أيضاأن الإنسان ليس بالضرورة راض عن مآله و وضعيته في المجتمعات الحديثة و يشير إلى إن تزايد عدد الانتحارات تعبير و دليل عن بعض السيمات التي قد تكون باثولوجية للتنظيم العام للحياة العامة [4] يعرف الانتحار إذن من طرف **دوركايم** كعرض أو كعلامة عن اختلال وظيفي لسلطة الضبط لدى الجماعات الاجتماعية .

لقد كان **دوركايم** في حاجة منذ البداية لتوضيح و طرح نظرته الخاصة بطريقة علمية من اجل التأسيس لمشروعه السوسيولوجي ، حيث بدأ دراسته بتعريفه للظاهرة المدروسة ثم يواصل دراسته يضحد التفسيرات السابقة ليصل فيما بعد إلى تحديد أشكال الانتحار، و في الأخير على أساس هذه النمدجة تتطور نظرية عامة للظاهرة محل البحث« الانتحار هو كل حالة موت نتجت مباشرة أو بطريقة غير مباشرة عن فعل ايجابي أو سلبي قامت به الضحية نفسها مع علمها بنتيجة هذا الفعل » [5]، و هنا فعل ايجابي: مثل رصاصة مسدس يطلقها على الرأس، و فعل سلبي عدم مغادرة منزل يحترق أو رفض تناول الطعام حتى الموت ، أما العبارة مباشر و غير مباشر فتحيلنا إلى تمييز مشابه لذلك الخاص " بإيجابي و سلبي" فضربة مسدس في الصدع تشبه الموت المباشر، و لكن عدم مغادرة منزل يحترق أو رفض تناول الطعام قد يؤدي بطريقة غير مباشرة أو بعد مدة إلى النتيجة المرغوبة أي الموت .

حسب هذا التعريف فإن المفهوم يتوسع أكثر ليشمل أفعالا أخرى مثل قيام قائد السفينة بإغراق نفسه لأنه يعتبر شرفه قد تدنس و لحقه العار، و ذلك الذي يخص النساء اللائي يجب عليهن اللحاق بأزواجهن عند موتهم حسب بعض الطقوس و المعتقدات الهندية، بمعنى آخر يجب اعتبار كانتحار حالات الموت الإرادي المحاطة بهالة من البطولية و الانتصار [6] .

- التفسير السوسيولوجي للانتحار :

لقد اعترف **دوركايم** منذ البدء بتعدد القوى التي يمكن أن تقود إلى الانتحار و تناقضها و أن هناك أنواع مختلفة من الانتحار بقدر تنوع أشكال القوى الاجتماعية التي تسببه ، و يمكن لهذه القوى إما أن تترك الإنسان

على حريته و تقوده بذلك إلى فوضى رغباته و أهوائه – فهنا الفراغ الاجتماعي و ضعف الروابط هما السائدان– أو بالعكس تمارس ضغطا و كأن الفرد ليس له إمكانية الوجود فهنا ضغط المجتمع هو المؤثر و يتعلق الأمر إذن بنظرة أخلاقية ترى ضرورة قيام المجتمع بتوجيه الفرد دون " خنقه " فلابد من ترك مساحة للتعبير عن غرائزه و رغباته مع إعلائها و ترقيتها بربطها بشكل ما بمصالح اجتماعية [7] .

ويؤكد **دوركايم** أن نسبة الانتحار ترتبط بالطريقة التي يتم تمفصل بها هذه القوى حول بعضها البعض و ستكون في اضعف نسبة في حالة توازنها، و إن الأشكال المختلفة للاختلال الاجتماعي يمكنها أن تتشابك آثارها و تنتج كذلك أشكالا مختلفة من الانتحار [8] **مثلا :**

أ– الأنانية مقابل الايثارية (الغيرية) .

ب– اللامعيارية (الانومية) مقابل الجبرية .

ج– الأنانية مقابل اللامعيارية .

و اعتبر **دوركايم** أن هناك في كل المجتمعات قدر أساسي من التوازن بين كل من الأنانية و الايثارية من ناحية و اللامعيارية و الجبرية من جهة أخرى، و أن أي تغير في هذا التوازن يمكن أن يؤدي إلى زيادة في التفكك الاجتماعي [9] ، في نفس الوقت أبعد **دوركايم** التفسيرات السيكولوجية و التي نتجت عن مشاهدات لانتحارات فردية للكثير من الأطباء و علماء النفس ، حيث حولوه إلى السبب النفسي المرضي إذ يرون أن غالبية أولئك الذين انهوا حياتهم كانوا في حالة مرضية حين ارتكاب هذا الفعل و أنهم كانوا مهيئين لذلك بالنظر إلى حالتهم العاطفية و النفسية، و يقبل **دوركايم** وجود استعدادات نفسية للانتحار و التي يمكننا تفسيرها بمصطلحات علم النفس المرضي و قد تمحورت النقاشات العلمية آنذاك حول هذين المصطلحين : الاستعدادات النفسية في مقابل الجبرية الاجتماعية، لتوضيح هذا التمييز استعمل **دوركايم** المنهج الكلاسيكي للمتغيرات المتلازمة ، حيث درس التغيرات في نسب الانتحار في مختلف الجماعات و حاول البرهنة على أنه لا توجد علاقة ارتباط بين تواتر حالات المرض العقلي و الانتحار .

و على سبيل **المثال:** أخذ مختلف الديانات و توصل من خلال المقارنة فيما بينها إلى أن نسبة المرضى العقليين عند الأفراد من الديانة اليهودية مرتفعة و لكن في المقابل نسبة الانتحار ضعيفة، و حاول كذلك تأكيد عدم وجود ارتباط بين الاستعدادات الوراثية و نسبة الانتحار ، حيث أن معدلات الانتحار ترتفع مع السن و هذا لا يتوافق مع الفرضية القائلة أن سبب الانتحار ينتقل وراثيا ، و يحاول نفي التفسير الذي يمكن أن يثار من خلال ظاهرة الانتحارات المتكررة في نفس العائلة، حيث يبعد **دوركايم** بصفة عامة هذه الفرضية .

كما حيد في تحليلاته الأولية تفسيرات الانتحار انطلاقا من ظاهرة المحاكاة ، و قد استغل هذا الأمر لتصفية حسابه مع عالم الاجتماع المشهور في ذلك الفترة **جابريل طارد** " Gabriel Tarde " و الذي كان بينهما سوء تفاهم هذا الأخير كان يعتبر المحاكاة الظاهرة المفتاح في النظام الاجتماعي [10] .

- ***أشكال الانتحار :***

يصل **دوركايم** فيما بعد إلى تحديد أشكال الانتحار و من بين أهمها الانتحار الأناني، هذا النوع لا يرجع إلى مشكل أخلاقي لدى المنتحر بقدر ما يعود إلى شكل من أشكال الحياة الاجتماعية و التي يجد الفرد فيها نفسه متحررا من ضغوط قواعد هذه الحياة ، لقد حاول **دوركايم** أن يقارن عدد معتبر من جداول الإحصائيات الموجودة في أرشيفات الدول الأوروبية في تلك الفترة و لقد تبين وجود علاقة ارتباط بين نوع الانتماء الديني و نسب الانتحار .

توصل **دوركايم** إلى أنه في أي مكان مهما اختلفت البلدان فإن الكاثوليك يتميزون بمعدلات انتحار اضعف من تلك التي يتميز بها البروتستانت، و في نفس الديانة نجد الانجليكانيين الذين يقتربون في عبادتهم من الكاثوليكية يتميزون بنسبة أقل من الانتحار منها عند أشكال البروتستنتية الأخرى، و هذا حتى في الدول الأوروبية مثل سويسرا أين يعيش الكاثوليك و البروتستانت جنبا إلى جنب، و من المهم الإشارة هنا إلى أن الشيء الأساسي في هذه الفكرة هو ليست الحياة الجماعية أو الاندماج الاجتماعي و لكن حرية التفكير الممنوحة للمؤمن في كل ديانة.

و لقد حاول **دوركايم** باعتباره يهوديا تبرير ضعف معدلات الانتحار عند اليهود بالرغم من أن الديانة اليهودية أقل مركزية من الكاثوليكية و تمنح حرية تفكير كبيرة، و لتفسير هذه الظاهرة يرى **دوركايم** أن اليهود معرضين للتهميش الاجتماعي و نتيجة ذلك يجب عليهم أن يتقبلوا مراقبة سلوكاتهم عن طريق انضباط صارم بغرض مواجهة المنافسة التي يتعرضون لها في كل أنحاء أوروبا، كما ينظر **دوركايم** بعين النقد إلى تصاعد اتجاه الليبرالية السياسية و الاقتصادية و التي تطبع المجتمع المدني في زمنه و يبدي قلقا من أن أعلى نسب الانتحار تظهر عند ذوي المهن الحرة و الفئات الاجتماعية الميسورة و هو الثمن المدفوع لطعم الحرية الذي تتميز به هذه الطبقات من الشعب .

كما أن النساء باعتبارهن أقل تعليما و بالتالي أقل تعرضا لعواقب حرية التفكير فإنهن الأقل انتحارا مقارنة بالرجال و يضيف **دوركايم** أن الزواج و الأولاد يحمون ضد الانتحار بتوجيه طاقة أعضاء العائلة إلى تحقيق الأهداف المشتركة [11] ، إن الانتحار الجبري قليل الحدوث و ليس متكررا كثيرا حسب **دوركايم**، فهو انتحار يتميز به العبيد ، الزوجات الصغيرات في السن ، المساجين و كل أولئك الذين يعانون من ضبط صارم لرغباتهم و أهوائهم [12] ، كما أن الانتحار اللامعياري سهل الفهم لأنه يعتمد على مفهوم سهل ، و هو الوجود القوي للقواعد أو المبادئ التي تستقطب العواطف و التي من دونها نتوجه إلى الفوضى، و هو علامة عن الانحلال و التفكك في المعايير الاجتماعية و هو مرتبط أساسا بالأزمات الاقتصادية و التي تتسبب في حالة لا توازن حيث تصبح رغبات و طموحات الأفراد غير موجهة نحو أهداف أو غايات ثابتة.

كما أنه يرتبط بالطلاق (المسمى باللامعيارية الزواجية) [13]، و قد أشار **دوركايم** إلى ارتفاع معدلات الانتحار التي صاحبت التحولات في الاقتصاد الأوروبي سواء تعلق بمراحل الازدهار أو تلك التي عرفت التراجع

و التقهقر ، لكن الأثر ليس آليا و قد اهتم **دوركايم** بالتدقيق في مسألة أن هذه الدورات الاقتصادية رافقتها إعادة نظر في بعض الاتفاقات الخاصة بالطريقة الواجب أن تسير وفقها الأمور في مجتمع معين إن ما أضعف هيمنة الاجتماعي على الفرد في هذه الفترات هو انفجار الاتفاق الخاص بالأجور العادلة الذي يمكن عزوه إلى إعادة التصحيح الضروري للأجور من اجل إعادة توزيع الثروة و كذا تقاسم التضحيات لقد أصبح الوفاق الاجتماعي حول ما هو عادل موضع نظر مما ترك الحرية للرغبات و الأهواء [14] حيث لا يستطيع المجتمع و خاصة في حالات الازدهار أن يفرض نوع من الحكمة الاجتماعية على رغبات الأفراد فتتزايد هذه الأخيرة بطريقة غير مبررة .

ففي حالة اللامعيارية، تفتح مواجهة الحاجات المختلفة الباب على الأوهام ثم بعدها الإحباطات و التي يمكنها أن تؤدي بالإضافة إلى الغليان و الضجر الناتج عن الفشل إلى الفعل الانتحاري و قد تؤدي في بعض الأحيان إلى القتل « إذا اعترف الشخص بمسؤوليته الشخصية عن الكارثة التي أصابته فالفعل سيوجه لذاته و إلا فسيوجهه للآخرين، في الحالة الأولى لن يكون إلا انتحارا، أما في الثانية فقد يسبق الانتحار قتل أو مظاهر عنف أخرى » [15] و بصفة عامة فإن اللامعيارية هي حالة ناتجة عن عدم توافق بين الغايات و الوسائل .

لكن وجود الانتحار في المجتمعات التقليدية و التي تمارس ضبطا عاليا على أعضائها تضع المنطق المتبع إلى حد الآن على المحك، لقد قام **دوركايم** بالاعتماد على **ميكانيزمات** اجتماعية و اقترح عبارة « **الانتحار الإيثاري** » لتفسير أشكال الانتحار الأكثر مشاهدة في مثل هذه المجتمعات، إن مصطلح إيثاري كذلك يجب ألا يفهم بمعنى أخلاقي كما رأينا أعلاه بالنسبة لمصطلح « **أناني** » فهي ليست انتحارات راجعة إلى عظمة الروح أو بطولية أولئك الذين يقدمون عليه و لكن و بدقة أكثر انتحارات مفروضة بواسطة التقاليد أو سيناريوهات محددة .

- تقييم و نقد:

لقد ربط دوركايم بين تفكك و انفجار الاتفاق الخاص بالأجور العادلة في المجتمع الأوروبي و مسألة إعادة النظر في الوفاق الاجتماعي حول ما هو عادل مما ترك الحرية للرغبات و الأهواء، لكن في نظرة خاطفة للوضعية المعاصرة يسمح لنا برؤية الارتفاع المذهل للأجور الخاصة بالمسيرين الكبار و أولئك الذين يحتلون مناصب عليا في الولايات المتحدة مع الجمود المقابل للأجر الأدنى و بالرغم من ذلك فإنه لا يؤدي إلى موجات من الانتحار و لابد إذن من التفكير في آلية أخرى لتفسير هذه الظاهرة ، في نفس الوقت كان **لدوركايم** الفضل في عدم الاعتماد على تفسيرات فضفاضة و عامة و الأخذ بعوامل محددة أكثر قربا من الفرد و التي يمكنها تفسير كيف يكون لظاهرة عامة مثل الدورة الاقتصادية اثر على التوازن النفسي للفرد ، إن ما يجب أخذه بعين الاعتبار هو أن **دوركايم** جعل من الانتحار موضوعا لعلم نفس مرضي اجتماعي و أنه يعتبره كظاهرة وبائية نفسو مرضية ، أي أنه لا يتجاهل علم النفس المرضي و لكن لا يجعل منه عنصرا مركزيا .

فليس إذن من المستغرب أن يثير السؤال الذي طرحه و هو « ما هو شكل المجتمع الذي يؤدي إلى زيادة الانتحارات ؟ » إلهام السياسين و الفلاسفة و بنفس القدر الصحفيين و التربويين و يأخذوا بحجة **دوركايم** عن

الانتحار للتأسيس لانتقادهم الاجتماعي حول السلطة الأبوية و انخفاض الوازع الديني و مناخ المدارس و حتى كذلك شكل النظام الاقتصادي، كما نستطيع أيضا بسهولة انتقاد علم النفس الأولي الذي اعتمد عليه **دوركايم** و لكن يجب علينا الاعتراف له بالفضل في طرح فرضيات حقيقية واضحة وضعت على المحك عمليات نفسو اجتماعية معقدة و التي من خلالها تعمل القوى الاجتماعية على النفسية الفردية [16] .

إن المنهجية الإحصائية المستعملة من طرف **دوركايم** قد تم تحديدها في كتابة " **قواعد المنهج في علم الاجتماع** " و يبدوا أن الأفعال الاجتماعية لا يمكن فصلها عن الأشكال التي يتناولها في الحالات الفردية و لكن الإحصاءات تعطينا إمكانية عزلها، و يتم عزل " **الظروف المادية** " بالتبادل، فالنسب تعتبر " تمظهرات موضوعية و قابلة للملاحظة لوضعية معنوية " لا يمكن تحديدها بطريقة مغايرة ، فحجم الانتحارات لا يختصر في مجموعة من الأحداث النفسية الفردية فالكل لا يساوي مجموع أجزائه .

فلابد من الوصول إلى تحليل الانتحار عن طريق قانون الأرقام الكبيرة، و الهدف كان تحديد الظروف التي ترتبط بها النسبة الاجتماعية للانتحار و تغيراتها ، بمعنى الأسباب التي تؤثر على الجماعة و من ثم وضع أقسام سببية انطلاقا من هذه الظروف [17] ، بصفة عامة ينظر **دوركايم** للانتحار باعتباره علامة اجتماعية و مؤشر على توجه الروح الجماعية، ما يقوده إلى تأكيد فكرة أنه ليس الأفراد هم الذين ينتحرون بل " المجتمع هو الذي ينتحر من خلال بعض أعضائه، فهو يوجد إذن مستقلا عن تجلياته الفردية " [18] .

يؤسس النموذج التفسيري الدوركيمي علاقة سببية بين الحالات الاجتماعية كاللامعيارية و الأنانية و نسبة الانتحار لكن دون توضيح ذلك عن طريق عملية منطقية، و بجعله الانتحار حقيقة اجتماعية في حد ذاتها فهو لا يعير الاهتمام لآليات عملية في الواقع للسلوكيات الفردية التي ينتج جمعها إحصائيا النسبة الاجتماعية للانتحار .

فالفرد يعتبر كحامل للمعايير و القيم الاجتماعية لا أكثر و باختياره لمستوى تحليل جماعي، فهذا النموذج لا يمكنه أخذ الواقع بالحسبان عند النزول إلى المستوى الفردي ، هذا النقد أضفى صبغة **ميثافيزيقية** على كتاب **دوركايم** و التي تصل إلى حدها الأقصى مع مفهوم " **التيارات الانتحارية** " و بدقة أكثر تعود الصعوبة المنطقية إلى كون السلوكات المفسرة لم يتعمم فهمها كأفعال مقصودة ، فالنظرية **الدوركايمية** التي تجعل من الفرد لعبة في يد العوامل و المحددات الاجتماعية التي تتجاوزه تندرج ضمن ما يسميه (Raymond Boudon) البراديغم " **الجبري** " في مقابل البراديغم " **الفعلوي** " [19]، على مستوى المنطقي يمكن إظهار أن النموذج **الدوركيمي** قد واجه مشكل " **القابلية للضحد** "، في الواقع يمكن اعتبار التمييز التحليلي بين المفهومين ثنائيي القطب (الاندماج و الضبط) كوسيلة استعملها **دوركايم** من أجل تفادي كل ضحد أو تكذيب أمبريقي .

حسب هذه الفرضية فإن نظرية الضبط ستكون صالحة تماما، حيث سمحت **لدوركايم** بتفسير ظواهر غير قابلة للتفسير عن طريق نظرية الاندماج و تصل إلى حد التناقض معها: فعن طريق الجمع بين الاثنين فإنه أصبح قادرا على تفسير أية ملاحظة – و هذا ما يفسر محاولته الحفاظ على هذا التمييز و الذي هو في الواقع

تمييزا مصطنعا – و هذا الأمر يبرر من خلال الغموض الذي ساد عملية التمييز هذه حيث نستشف من خلال بعض الفقرات عدم التمييز كما يجب بين مفهومي اللامعياري و الأناني و أنهما يمكن أن يتقاطعا في ظروف معينة ، حيث يكتب **دوركايم** " أنه لا يمكن تقريبا تجنب كون الأنانية لديها بعض الاستعدادات للغموض " [20] و بالمقابل اللامعيارية " لا يمكن أن تحدث دون وجود بذرة من الأنانية " [21] ، كما صرح بأن " الأنانية و اللامعيارية بصفة عامة ما هما إلا خاصيتين لنفس الحالة الاجتماعية " [22].

- هناك فريقين في الواقع يرى الأول منهما بوجوب الاستقلالية بين المفهومين في حين يرى الفريق الثاني باعتبارهما متطابقان و متشابهان ، و يعتبر " **هالبفاكس** " أحد المنتمين إلى الفريق الثاني .

في إطار هذا المنظور يمكن الإشارة إلى القراءة التي قام بها **آلار** (Allard) للانتحار حيث أخذ تقسيم العمل كمتغير مستقل تفسيري فالأنواع الأربعة للانتحار الدوركيمي ستكون في الواقع نتيجة لتقاطع متغيرين مستقلين: الوعي الجمعي بلعبه أولا لدور موحد و تقسيم العمل حسب درجة بروزه فإذا كان تقسيم العمل يؤدي إلى التمايز القوي و كان مقترنا بمعايير اجتماعية أقل إلزامية سيكون مصدرا للانتحار الأناني [24]، كما يرى **بارسونز** أن الأنانية باعتبارها فردانية زائدة هي تجلي جديد للوعي الجمعي و الذي يشترك مع حب الشخصية، فالأنانية الاجتماعية معرفة هنا من خلال محتوى فرداني للمعايير وهي بذلك تختلف عن اللامعيارية التي تتميز بغياب قواعد مشتركة .

إن اللامعيارية التي ترافق تطور النمو الاقتصادي يمكن أن تشكل بدورها ميزة أخرى من مميزات مجتمعنا المعاصر إن التغيير الاجتماعي المفاجئ و الأزمات الاقتصادية الناجمة عن الازدهار أو الانهيار تعتبر نظريا مولدة للامعيارية و مصدرا لها و هذا ما يلاحظ حاليا [25] .

2- هالبفاكس و نموذج التفكك :

على اثر **دوركايم** قام موريس هالبفاكس (Maurice Halbwachs) بنشر كتاب من 500 صفحة تحت عنوان " **أسباب الانتحار** " و الذي يبدوا عنوانا يتميز بالحذر و اليقظة نوعا ما بالنظر إلى الماضي نظرا للتدقيق في متطلبات المنهج السوسيولوجي للوصول إلى تفسيرات سوسيولوجية ، فإذا كان هذا الكتاب قد تم نسيانه تقريبا من طرف اللاحقين فإن له الفضل في اقتراح معايير أكثر صرامة في تفسير الإحصائيات و بناء النظريات ، لقد جعل من الانتحار حسب عبارة الانتربولوجي (Marcel Mauss) **مارسل موس** ظاهرة اجتماعية شاملة باقتران عدة تأثيرات اجتماعية [26] .

كما يعتبر كتاب هالبفاكس تحديثا للنظرية **الدوركيمية** و تكييف لها مع الظروف الجديدة للحياة الاجتماعية و بعيدا عن إحداثه القطيعة مع نظرية **دوركايم** فإن كتاب **هالبفاكس** بدا في نفس خط هذه الأخيرة و استمرارا لها فحسب " **موس** " « فإن الكتابين يعبران عن نفس البحث و تما بنفس الروح » [27] حسب **هالبفاكس** ترتبط نسبة الانتحار لمجتمع معين بدرجة تعقد هذا الأخير لأن هذه الدرجة هي التي تحدد عدد الفرص المتاحة للأفراد

للدخول في صراعات مع بعضهم البعض و بالتالي يتم تفسير التباين في نسب الانتحار من خلال التحولات التي تطرأ على شكل الحياة .

هذا المفهوم أخذ إذن مكان مفهوم الاندماج الاجتماعي في نظرية **دوركايم** ، كذلك يترجم الارتفاع المسجل في نسب الانتحار في القرن 19 الضعف في أشكال الحياة التقليدية المنظمة بواسطة العادات و المعتقدات الجماعية، و مجيء مجتمع صناعي متحضر يتسم بتعقيد أكثر زاد من فرص حدوث الصراعات و التي كانت بمثابة أسباب كامنة للانتحار [28] ، فالحياة الاجتماعية المعاصرة ليست أكثر تفككا عما كانت عليه في الماضي ، و هي في الحقيقة أكثر تعقيدا و هذا ما ينزع نهائيا عن مفهوم اللامعيارية ميزته التفسيرية و التي تفسر حسب **دوركايم** التزايد المثير للانتحار في حالات المرور من مجتمع ريفي تقليدي و ديني إلى مجتمع حضري صناعي و لائكي ، « الانتحارات تتزايد لأن الحياة الاجتماعية تتعقد و لأن الأحداث الفردية التي تؤدي إلى اليأس تتعدد»[29] .

عكس **دوركايم** يرى **هالبفاكس** أن الدوافع و الظروف الفردية " **ترتبط بالهيئة الاجتماعية** " و أنه من الضروري اعتبارها كأسباب مستقلة للانتحار .... كما يدعم في الواقع فكرة أن الدوافع الفردية لها علاقة مع الأسباب العامة و أنها تشكل نسقا بالاتحاد معها ، فمن الخطأ الفصل عشوائيا بين التيارات الكبرى للحياة الجماعية و بين هذه الحوادث الفردية إن الاستعدادات العضوية " **التي تميز الأنظمة العصبية** " و تجعلها " **حساسة للغاية** " هي كذلك أسبابا اجتماعية لأنه ليس من الصدفة أبدا أن نجدها بأعداد كبيرة في المهن الحرة الصناعية و التجارية، و في الجماعات الحضرية مقارنة بالمهن و الجماعات الأخرى [30] .

ضمن هذا المخطط التفسيري تبدوا الدوافع المثارة من طرف المقدمين على الانتحار ليس مجرد تبريرات كما يعتبرها **دوركايم** بل هي نتائج لأحداث اجتماعية و بالتالي من الضروري أخذها بالاعتبار عند تحليل الانتحار ، فعكس **دوركايم** و الذي لا يعتبر هذه الدوافع أسبابا حيث يجعل للعوامل الاجتماعية وحدها قوة سببية في الفعل يتطلب النزول إلى عالم التصرفات الفردية و لا يمكننا ذلك إلا في حالة مشكلة ، أو معانات أو حالة ضعف..... الخ.

فليس هناك إذن اختلافات أساسية بين ما نسميه دوافع و ما نسميه أسبابا [31] ، و على عكس **دوركايم** كذلك الذي يرى في ارتفاع نسبة الانتحار ظاهرة مرضية ناتجة عن انهيار المؤسسات التقليدية ، التي كانت موجودة في الماضي ، فإن **هالبفاكس** يرى أن تزايد نسب الانتحار يظهر نتيجة لشكل الحياة الحضرية حيث يزيد تعقدها من فرص حدوث قتل النفس ، و يعتبر هذا الأمر خاصية ثابتة تميز المجتمع الصناعي ، إن هذه الملاحظات تترجم بتعديل مهم في نموذج **دوركايم** حيث لا يأخذ **هالبفاكس** بالحسبان الانتحار الغيري الذي يشبهه بالتضحية ، كما أن الانتحار اللامعياري و الجبري ثم إلغاءهما ، يعطينا **هالبفاكس** ملخصا عن كتابه في إحدى المجلات العلمية و عند هذه النقطة بصفة خاصة كان بليغا: ما هي إذن أسباب هذا التزايد المثير للانتحارات و التي استمرت منذ نصف قرن ؟

فهل تعود فقط، حسب ما يعتقد **دوركايم** إلى حالة الفوضى و اللامعيارية الناتجة عن ضغط الروابط التقليدية ؟ أم تعود إلى التعقد الكبير في الحياة الاجتماعية في المحيط الحضري و الاصطناعي ، حيث تزيد هذه الأخيرة من الصدامات و النزاعات ، و تسهل نشوء حالات الانهيار المتكررة أو لا ؟ [32] ، و يمكن تلخيص ما جاء به **هالبفاكس** من تعديلات في النظرية **الدوركيمية** في نقطتين أساسيتين :

أ– إعادة تعريف طبيعة المتغيرات التي تحدد شكل الارتباط بين الفرد و الجماعة (الاندماج– الضبط) في تأثيره على الانتحار .

ب– إعادة تحديد محتوى هذه المتغيران .

بالنسبة للنقطة الأولى يبدوا أن المخطط التفسيري **لهالبفاكس** أبسط من ذلك الذي وضعه **دوركايم** فنسبة الانتحار فسرت كليا عن طريق متغير فريد يتعلق بالاندماج الاجتماعي و هو تعقد شكل الحياة (*) [1] كما أن انخفاض نسب الانتحار أثناء الحروب و الثورات " لا يعتبر نتيجة لتزايد الاندماج و لكن تعود إلى تبسيط الحياة " [33] ، و نفس الشيء بالنسبة لتزايد الانتحار في مراحل الانهيار الاقتصادي و الذي يرى فيها **دوركايم** نتيجة للامعيارية « فما هي إلا وضعية تزايد من " فرص الضجر و المهانة و الإحباط و المعاناة من جراء تصرفات الآخرين " » [34] .

و بتجاهله لنظرية **دوركايم** عن الضبط فإن **هالبفاكس** لم يأخذ بالاعتبار سوى الانتحار الأناني و بالتالي يفقد كل من الأسرة و الدين محتواهم التفسيري و يجب إذن وضعهم ضمن مجموعات اجتماعية أكبر محددة لشكل الحياة (**مثل** : المقابلة بين المدينة – الريف) ، فالضعف في العادات التقليدية و المعتقدات الجماعية يقود إلى تفكك المجتمع حيث يعتبر الانتحار مؤشر على ذلك ، أخيرا يمكن استنتاج إن نظرية **هالبفاكس** تترك هامشا كبيرا للعوامل الفردية و النفسية الناجمة عن أسباب اجتماعية (هذا ما أدى إلى اتهام **هالبفاكس** بالنزعة النفسية)، إن منهجية **هالبفاكس** قد وضحت أكثر العلاقة البينية التي تربط البيانات الكمية للانتحار بالسلوكات الفردية و التي لم تفعلها نظرية **دوركايم** الذي صور المجتمع ككل متكامل ، و بهذا يبتعد عن الشمولية (Holisme) [35].

– نقد و تقييم :

في الواقع منح **هالبفاكس** " للصراعات " و " الاستئصال " أثر دافع و محفز على الانتحار دون برهنة حقيقة هذا الأثر على الفرد و دون تبيين آلية هذه الظاهرة ، فإذا كان البرهان سهلا على المستوى الجماعي فإنه بالعكس من ذلك عند المرور إلى المستوى الفردي حيث لا تسمح نظرية **هالبفاكس** بفهم الواقع الملاحظ .

(*) هذا التعديل المهم له أساس منهجي : يتلخص في الاعتراف بإستحالة الحصول على قياس مستقل لأثر كل متغير من [1] المتغيرات الدوركيمية : الدين ، حجم الأسرة ، الحالة العائلية ، .... على الانتحار بإعتبار هذه المتغيرات مترابطة فيما بينها .

– إن وجهة النظر المتعلقة بتجسد الواقع الاجتماعي عن طريق الأفراد فرضت نفسها في النصف الثاني من القرن العشرين بفضل أعمال **بيار بورديو** (Pierre Bourdieu) و **نوربرت إلياس** (Norbert Elias) و **ادوارد سابير** (Edward Sapir) و العديد من الاثنولوجيين ، و لكن منذ 1930 وضع **موريس هالبفاكس** أسسها بمناقشته لعمل **دوركايم** حول الانتحار حيث توصل إلى وجهة نظر أكثر تكاملا و هدوءا للعلاقات بين الطب النفسي و علم الاجتماع ، فلا يوجد حسبه نوعين من الانتحار : ذلك الذي ينتج عن حتميات وضعية يعتبر موضوعا للطب النفسي و الآخر الذي ينتج عن الحتمية الاجتماعية يشكل موضوع علم الاجتماع ، و لكن كل انتحار ينتمي في نفس الوقت لكلا وجهتي النظر ، فهذه الأخيرة هي التي تنتج الموضوع .

3- جيبس و مارتن : (نموذج " اندماج المكانات ")

يعتبر **جيبس** و **مارتن** نفسيهما أتباعا **لدوركايم** و هما يحاولان إتمام النظرية **الدوركيمية** بإدخال مفهوم إجرائي للاندماج هذا الأخير يتم قياسه من خلال استقرار و استمرارية العلاقات الاجتماعية التي ينسجها الأفراد في جماعة معينة في حين أن ثبات هذه العلاقات الاجتماعية يتعلق مباشرة بمدى الانسجام و التوافق بين الطلبات و التطلعات التي يجب تلبيتها، و هذه الأخيرة محددة بالمكانة التي يحتلها الفرد في المجتمع ، في مجتمعنا المعاصر يحتل الفرد أدوارا و مكانات متعددة في الوقت ذاته، و من هنا تأتي ضرورة الأخذ بالحسبان للتقاطعات و بالتالي الصراعات المحتملة بين هذه الأدوار و التي قد تؤدي إلى قطيعة في بعض الروابط الاجتماعية و التي قد تؤدي إلى الانتحار، من هنا نصل إلى نتيجة مفادها إن تواتر الانتحارات في جماعة معينة يتناسب عكسا مع درجة الاندماج في المكانات في هذه الجماعة .

و هذا الأخير يتناسب عكسا مع عدم التجانس في المكانات التي يحتلها أفرادها، و تعتبر المكانات التي تحتوي على أدوار صراعية الأقل شغلا من الأفراد، و هذا الأمر يعود لثلاثة أسباب :

1- التوتر الناتج عن صراع الأدوار يضعف رغبة الأفراد في شغلها أو يدفعهم للتخلي عن هذه المكانة أو تلك .

2- عدم قدرة الفرد على الاستجابة لتطلعات متناقضة يدفع في الغالب إلى عزلته ثم إقالته من إحدى مكاناته و إجمالا تقود وضعية صراع الأدوار إلى خسارة الرابطة الاجتماعية ثم إلى الانتحار و هذا يقود بالضرورة إلى ما يمكن تسميته بالانحراف عن المعايير الاجتماعية [36]،و يمكن تلخيص ما جاء به جيبس و مارثن في النقاط التالية :

1-إن معدلات الانتحار في مجتمع ما تتباين عكسيا مع استقرار العلاقات الاجتماعية و استمرارها داخل المجتمع

2- إن استقرار العلاقات الاجتماعية و استمرارها داخل المجتمع يتباين مباشرة مع مقدار تمثل أفراد المجتمع لأنماط العقوبات الاجتماعية و متطلباتها و التوقعات التي يضعها الآخرون عليهم .

3- إن درجة تمثل أفراد المجتمع لأنماط العقوبات الاجتماعية و متطلباتها و التوقعات التي وضعها الآخرون عليهم متباينة عكسيا مع مقدار تعرض هؤلاء الأفراد إلى صراعات الأدوار .

4- إن درجة تعرض هؤلاء الأفراد إلى صراع الأدوار متباينة عكسيا مع مقدار امتلاك الأفراد مكانات غير متوافقة مع المجتمع .

5- إن درجة امتلاك الأفراد مكانات غير متوافقة مع المجتمع متباينة عكسيا مع درجة تكامل إمكانات في ذلك المجتمع .

1- المقاربة الاقتصادية للانتحار :

هناك من الباحثين من حاول تجاوز التفسير السوسيولوجي لظاهرة الانتحار و اعتماد تفسير اقتصادي يعتمد على نظرية الاختيار العقلاني ، هذا النموذج تم وصفه و استعماله بكثرة في الاقتصاد و في العلوم الاجتماعية خاصة في علم التاريخ و الانثروبولوجيا و سنحاول هنا توضيح المبادئ الأساسية لهذا النموذج كما وضعتها المدرسة الأمريكية .

1- يجعل النموذج التصوري (**البراديغم**) للاختيار العقلاني الفرد في وضعية اتخاذ القرار و يفترض أنه قد عرض أمامه التشكيلة الكاملة للاختيارات التي سوف يختار من بينها الفعل الذي سيقدم عليه .

و يعتبر فاعل ما عقلاني إذا قام باختيار من سلة البدائل المتاحة له تلك التي تجلب له اكبر فائدة ، أي بمصطلح آخر إذا حقق الاختيار " **الأفضل** " و الذي يعظم منفعته ، فإختيار البديل المفضل هو اختيار ذلك الذي يجلب منفعة اكبر و هذه الأخيرة تؤدي بدورها إلى اختيار البديل المفضل ، و يعني مصطلح المنفعة الرضى أو الإشباع المحصل من سلعة ما ، و يعني ذلك في نظرية اللعب : القيمة التي يعطيها كل لاعب من اللاعبين للربح أو الخسارة المتعلقة بكل اختيار ، كما أن المنفعة قد تتعلق بفوائد مادية حيث أن الزيادة في السلع المادية مرغوبة دائما و لكن بمعناها الشامل تعني « **رضى أو إشباع ذاتي** » قد يرتبط برهانات متعددة (حماية مجال من الاستقلالية (**ميشال كروزبيه**(*)) (قبول اجتماعي (J. Harsanyi) **هارسيني** ... الخ) ، « كون الأفراد يختارون من بين البدائل المتاحة لهم تلك التي يفضلونها لا يستلزم أن يختاروا آليا تلك التي تجلب لهم أكبر الفوائد المادية » [37] .

2- تطبيق نموذج الاختيار العقلاني على قرار الانتحار :

في بعض الحالات تبدوا للفاعل أن الفائدة المحصلة من الفعل الانتحاري أعلى من تلك التي تحققها باقي الأفعال غير النهائية ، مما يؤدي به إلى تفضيل الانتحار (بإعتباره فعلا حاسما و نهائيا)، و قد تم إدخال مجموعة من المتغيرات التفسيرية لعقلانية الاختيار في هذا الموضوع .

- إن البحث عن المنفعة القصوى ليس له معنى إلا بإرجاعه إلى الخصائص المرجعية و معايير الحكم، و التي بواسطتها يتم تقسيم كل اختيار ممكن من طرف الفاعل بمنطق الامتيازات و الاكراهات (الثمن و الربح)، مما يحتم إدخال مفهوم القيمة في هذا النموذج .

– على المستوى البراغماتي تسمح القيم للفاعلين بترتيب القرارات الممكنة ضمن نظام تفضيلات، و بالتالي يتم تنظيم بثبات اختياراتهم حسب الأفضلية : إنها ترتب سلسلة النتائج من الأكثر تفضيلا إلى الأقل تفضيلا و بهذا المعنى تشكل معايير للرضى (**ميشال كروزبيه)** .

هذا التعريف يحيلنا مباشرة إلى ذلك الذي أتى به **بارت** (F. Barth) في الانتروبولوجيا و الذي يعرفها من وجهة نظر ثقافية « القيم المتعايشة ضمن ثقافة معينة هي ظواهر امبريقية يمكن تحديدها،و هي ليست مبنية من طرف الملاحظ و لكنها وجهة نظر الفاعلين أنفسهم، إنها تشكل وجهات نظر تسمح بتقييم الدلالية والقيمة و توجه بذلك سلوك الفاعلين(...) لابد من التمييز بين الربح المحقق من تفضيلات شخص ما، و التي هي بالضرورة متغيرة،و الربح الناتج عن أحكام ثابتة للقيم التي ينتمي إليها الأشخاص(...) فالقيم كوجهات نظر للفاعلين

(...) هي أساس الاختيارات الفردية و تشكل ما يمكننا تسميته النقطة القاعدية لسلسلة التصرفات » [38] .

في الواقع لا يمكن تطبيق مبدأ المنفعة القصوى إلا إذا كان الفاعل قادرا على تقييم عواقب اختياراته و هذا أمر نادر الحدوث ، كما تميز النظرية الاقتصادية للاختيارات بين وضعية اليقين و الوضعيات التي قد تتضمن خطر اللايقين، وضعيات اليقين هي تلك التي تكون فيها للقرارات الممكنة التي تتوفر للفاعل نتيجة محددة و وحيدة في حين في حالة المخاطرة أو اللايقين ينحدر عن كل قرار عدد أكبر من النتائج الممكنة .

– في وضعية المخاطرة يمكن للفاعل تحديد احتمال لكل نتيجة ممكنة لقراراته، في حين في حالة اللايقين فلا يمكننا تقييم احتمال كهذا [39] .

في هاتين الحالتين الأخيرتين نتكلم إذن عن المعلومات المحدودة ، و يقوم الفاعل في وضعية المخاطرة بحساب القيمة المنتظر الحصول عليها من الاختيارات المختلفة الممكنة ثم يقوم بموازنة الأرباح المرتبطة بكل النتائج الممكنة لهذه الاختيارات من خلال احتمالات تحقيقها ، فالمعيار الذي يوجه الاختيار هو إذن تعظيم الربح المنتظر ، فهنا الفاعل يختار الفرصة السانحة لتحقيق أكبر ربح ممكن، في وضعية اللايقين يوجه الاختيار العقلاني بمبدأ تقليل الخسائر أو الحد الأدنى الممكن للخسائر الذي يقود إلى استعمال إستراتيجية تضمن أقل مخاطرة « إتباع قاعدة الحد الأدنى هي مقارنة أسوء نتيجة مرتبطة بكل قرار ممكن وضبط الاختيارات على أساس مبدأ الأقل سوءا » [40] – لأخذ قرار الفاعلين بالحسبان يتم إدخال عامل ضبط إضافي يتعلق بمعتقدات الفاعلين ، حيث نتفاعل هذه المعتقدات مع كمية المعلومات التي يمتلكها هؤلاء الفاعلين عن الوضعية التي تورطوا فيها (وجدوا أنفسهم فيها) و من هنا يتحدد تصورهم الانتقائي عن هذه الأخيرة مما ساهم في تحديد الوسائل الأكثر ملائمة لتحقيق الهدف ضمن هذا المنظور تحيلنا المعتقدات إلى البنية المعرفية التي تحدد محتوى تجربة الفاعل و تجعل الواقع الذي يدركه واضحا أمامه و يتعلق الأمر هنا بالمعتقدات الايجابية و هي تأخذ شكل عبارة تؤكد وجود أو عدم وجود حدث ما إمكانيته أو استحالته ، من خلال هذا النموذج يؤخذ الانتحار على أنه فعل عقلاني باعتباره في نظر الفاعل الوسيلة الأفضل لتعظيم أرباحه حسب (معتقدات الفاعل ، قيمه و المعلومة

التي يمتلكها و الضغوطات و الموارد المادية التي تساهم في تحديد قائمة اختياراته الممكنة)، كما يرى هيث (Heath) أن الهدف الذي يحدده الفاعل يفلت من كل معيار للعقلانية ، و يمكن اعتباره كذلك في حالة واحدة و هي كون نوع الفعل الذي اختاره الفاعل هو الوسيلة الأفضل و الأكثر فعالية للوصول إلى الهدف المنشود .

« و لا علاقة للعقلانية بالأهداف التي يسعى إليها الفاعلون و لكن لها علاقة فقط بالوسائل المستعملة من أجل الوصول إلى تحقيقها » [41] ، ضمن هذا الإطار المحدد يصبح الهدف هو البحث عن وضعيات يصبح فيها الانتحار اختيارا عقلانيا، و يقصد بالوضعية هنا هي الوضعية التي يجد الفاعل نفسه فيها و حسب ما يتصورها و يدركها هذا الأخير " من وجهة نظره " أي من خلال قيمه معتقداته و المعلومات التي يمتلكهاو تسمى " **منطق الوضعية** "، فعملية نمدجة الفاعلين تعتبر إذن جزء من واقع الفعل نفسه ... لأنها تدعم الميكانيزم المنطقي ، و هي تمدنا بوسيلة لفهم الواقع و في نفس الوقت تشكل جزءا من هذا الواقع .

3- النظرية الإستراتيجية لجون بيشلر " Jean Beachler" :

انتقد **بيشلر** سوسيولوجيا الانتحار إذ لا يرى لها أهمية كبيرة سواء من ناحية القراءة التفسيرية للإحصائيات الخاصة بالانتحار أو من ناحية التفسيرات التي تنتجها، من هنا يرى **بيشلر** ضرورة تبني طريقة أخرى بدل تلك المتبعة من طرف علماء الاجتماع، تتناول بالدراسة تحليل الحالات مع إعادة إنتاج إطار مفاهيمي للمشكل بالاعتماد على أسس جديدة و هذا ما قام به **بيشلر** حيث طرح نظريته الخاصة (النظرية الإستراتيجية) ، لقد سميت نظرية **بيشلر** (إستراتيجية) بإعتبار الانتحار كجزء من إستراتيجية تبحث عن حل لمشكل ما بهذا المعني يقول **بيشلر** بأن الانتحار دائما منطقي، و يعرفه كالآتي: « الانتحار هو كل سلوك يبحث و يجد الحل لكل مشكل وجودي في فعل المساس بحياة الفرد (المعني) » [42]، و يعتبر هذا التعريف هو الأوسع من بين كل التعاريف التي تم تقديمها عن الانتحار، في الواقع " المساس بحياة الفرد " يفترض بأنه ليس من الضروري أن تكون هناك حالة وفاة (موت) لكي نتكلم عن الانتحار .

فهناك سلوكات أخرى مصنفة ضمن التسمية : " **الانتحار** " بمعناه محاولات الانتحار، النشاطات التي تتضمن خطر الموت (الرولات الروسية ... الخ)، و حتى التهديد بالانتحار و الاضراب عن الطعام **مثلا** حتى لو كان المضرب يعلم أنه لن يذهب إلى آخر المطاف ، و يبدوا أن **بيشلر** لم يعرف الانتحار بهذا المفهوم الواسع مجانا حيث يعود هذا إلى أمرين: الأول هو: مفهوم الحياة في المجتمع التي ينتج عنها الانتحار و الثاني: هو مفهوم الجماعة الانتحارية .

يقول **بيشلر** : " الحياة معركة ضد ميولات الشخص و توجهاته الخاصة، و ضد الآخرين (الآباء، الأصدقاء و آخرون)و ضد مختلف عراقيل الحياة [43] ... الخ " فالتقدم في الحياة يعني مواجهة المشاكل و إيجاد حلول لها، في نفس الوقت من النادر أن نجد أنفسنا في مواجهة وضعيات مجهولة و غير معروفة و أن علينا إيجاد حلول جديدة للمشاكل التي نواجهها ، في هذا الصدد يرى " **بيشلر** " أن « في أي مجتمع أو جماعة اجتماعية يعتبر عدد و أنواع المشاكل و الصراعات التي تواجه الأفراد محدودة و هي بصفة أو بأخرى مصنفة أو مفهرسة

كما أن حلولها نموذجية و نتيجة ذلك فإن مساهمة الفرد الشخصية في حل هذه المشاكل و الابتكارات التي تؤدي إليها حدة هذه الوضعيات من طرفه تقريبا معدومة – حيث يعرف الإنسان منذ الطفولة الأولى الحدود الضيقة المتروكة لمبادرته » [44] .

إذا أخذنا بهذا المعنى فكيف نفسر حدوث الانتحارات ؟ حسب **بيشلر** ليس هناك إلا ثلاث تفسيرات:

1- إن الفرد يواجه مشاكل استثنائية و لا يستطيع أن يحلها بطريقة أخرى غير الانتحار .

2- أو أن الانتحار يحدث لعدم قدرة الفرد على التحكم و تطبيق " قواعد اللعبة " بمعنى آخر، الفرد ليس " مسلحا لخوض المعركة "

3- و إما " أن الانتحار هو حل نموذجي للمشكل المواجه" (يتعلق الأمر هنا بالانتحارات المؤسساتية) و يتعلق الاحتمالان الأول و الثالث بوضعيات استثنائية .

إن جوهر و أساس الانتحارات هو عدم قدرة البعض على " **خوض المعركة** " إذن من أين تأتي عدم القدرة هذه يتساءل **بيشلر** : فهل تعود إلى " **أقلية زهيدة** " بما أن نسب الانتحار ستكون " **مهملة** " أم هل تعود إلى المجتمع ؟ أو لما عايشه الفرد في مرحلة الطفولة المبكرة ؟ يجيب **بيشلر** بالسلب : حيث أنه من بين الأفراد الذين ينشئون من نفس الأصل الاجتماعي و يحتلون وضعيات متشابهة فالقلة فقط منهم هي التي تكون لها ردود أفعال انتحارية ، أما فيما يخص تجارب الطفولة المبكرة فهي تعمل بطريقة مختلفة حسب الأفراد [45] .

و من هنا يستنتج **بيشلر** أن مصدر عدم القدرة هذا تكويني أي أنها ذات أساس وراثي، ليس بمعنى وجود مورثات تدفع الأفراد للانتحار، و إنما هي عبارة عن ضعف وراثي يجعل من بعض الأفراد يستجيبون بطريقة انتحارية لمشاكل الوجود، و التي يقاومها غالبية الناس الآخرون، و بالتالي فإن مفهومه عن الحياة في المجتمع بإعتبارها معركة جسيمة قاد **بيشلر** إلى إدراك أن ذوي الميول الانتحارية " **الانتحاريون** " لا يصبحون كذلك صدفة و أنهم لا ينتحرون بالضرورة، فقد يقومون بمحاولات انتحار غير مميتة، أو يقبلون على بعض السلوكات الخطيرة، حيث احتمال الموت قد يكون مهما نسبيا و يبدوا هذا السبب هو الذي دفع **بشيلر** لإعطاء تعريف للانتحار بهذا الشكل الواسع .

لأنه يهتم خاصة بجماعة خاصة و التي قد تقدم على أنواع مختلفة من السلوكات التي تسمى انتحارية و التي تتناسب مع هذه الجماعة من الأفراد ، فلماذا نحيد الأفعال التي لا تؤدي إلى الموت إذا كان نفس النمط من الأشخاص هو الذي يقوم بها ؟ و نتيجة ذلك إنه إذا كان الانتحار يفسر في آخر المطاف وراثيا فأنه من الطبيعي أن تكون نسبة المنتحرين نفسها من مجتمع لآخر و من فترة زمنية إلى أخرى ، لقد قدم **بيشلر** نسبة انتحار عالمية تتراوح بين 20 إلى 30 في مائة ألف نسمة و " نسبة عالمية للسلوكات الانتحارية " التي حددها بـ 200 في مائة ألف نسمة ، و يضيف إلى أن هذه النسب دائما ضعيفة لأنه و حسب ما تم عرضه سابقا « هناك دائما وسيلة للتكيف مع أية وضعية ، و الغالبية من الناس يجدون هذه الوسيلة » [46] .

بالإضافة إلى أنه يرى من غير المشروع الاعتقاد بوجود اختلافات كيفية بين الانتحارات في الدول المتقدمة و الانتحارات في المجتمعات التقليدية فالأسباب هي نفسها ما عدا بعض التباينات و هذا ما يقودنا إلى التفريق بين الأسباب و معاني الانتحار ، و يصر **بيشلر** على تباين الانتحارات و إن كل حالة ذات تعقيد لا متناهي و أن هدف البحث العلمي هو التقليل من اللامتناهيات التي تقود إلى دمج عدد من السمات الحاسمة للسلوكات [47] .

لقد قرر **بيشلر** من جهته اختصار ظاهرة الانتحار في نمطين مختلفين : المعاني و الأسباب ، والمعنى هو : " **بالنظر إلى ماذا** " ، ارتكب الفعل ، و السبب هو " **لماذا** " شخص معين وصل إلى أن يقتل نفسه بعبارة أدق المعنى : هو الاتجاه أو " **الذهاب بإتجاه** " فالشخص يتوجه إلى هدف ما و الهدف محدد ، و هنا السلوك يصبح قابلا للفهم و الإدراك ، و هذا الإدراك يتم بطريقة " **التقمص الوجداني** " بالمعنى الفيبري و لكن ليس تقمصا وجدانيا عاطفيا ، فالملاحظ يمكنه فهم من الداخل معنى انتحار ما ، مهما كان زمن و مكان حدوثه مادام يستجيب لعقلانية في الغاية ، و التي توجد عند كل إنسان، و بالتالي الملاحظ يشترك مع الشخص موضوع الدراسة، أما السبب : و الذي يولي الأهمية للتعبير عن الفهم فيخص إعادة رسم أو تخطيط مختلف العناصر و التي من خلال تجمعها دفعت شخص ما إلى رؤية حل واحد لمشكلته هو: الانتحار فالأسباب إذن متعددة و هي تتجمع مع بعضها البعض بطرق مختلفة .

و بالتالي وجب التذكير بأن دراستها عند **بيشلر**– بما أنه لا يأخذ بالاعتبار الإحصائيات الخاصة بالانتحار – تختلف عند دراسة الأسباب عند **دوركايم** و **هلبفاكس** و غيرهما من السوسيولوجيين ، حيث أن موضوع الدراسة بالنسبة لكليهما مختلف ، فالبنسبة **لدوركايم** موضوع الدراسة هي نسبة الانتحار باعتبارها ظاهرة اجتماعية في حد ذاتها ، و هو يبحث عن الظواهر الاجتماعية التي تفسر الاختلافات و التباينات في نسب الانتحار ، أما بالنسبة **لبيشلر** فالموضوع هم الأفراد : باعتبارهم الوحدات الوحيدة القابلة للملاحظة بالنسبة لمن يريد فهو سلوك معين ، فهو يبحث عن العناصر التي تساهم في تشكيل أقدار انتحارية (des destins suicidaires) .

فدوركايم يتساءل عن سبب انخفاض نسبة الانتحار أو ارتفاعها في وضعيات معينة ، أما **بيشلر** فيتساءل لماذا هذا الشخص و ليس شخصا آخر يعتبر انتحاريا [48] ، و يخلص **بيشلر** إلى طرح تساؤل جوهري يراه المحدد للعمل الذي يجب القيام به في دراستنا للانتحار : « أية أفراد يبحثون عن آية حلول لأية مشاكل من خلال الانتحار » .

– تقييم و نقد النظرية الإستراتيجية لبيشلر :

يعرض " **Eric Caron Malenfant** " [49(1)] بعض الانتقادات لفرضيات " **بيشلر** " التي تلقي بالشك على استعمال الإحصائيات الرسمية حول الانتحار ، إن هذا الافتراض يعني إما التوقف عن استعمال هذه الإحصائيات، و أما مراقبة عوامل عدم الكفاءة الإدارية و الإخفاء، الأمر الذي يصعب تحقيقه، لكن دراستا كل من " **دوغلاس** " و "**بيشلر** " من بعده قد أدتا إلى ظهور عدة حجج دامغة في صالح استعمال إحصائيات

الانتحار و منها دراسة " Phillippe Besnard " و التي ضحدت أهم عامل خطأ حسب " **دوغلاس** " و هو " **الإخفاء** "،و الذي حسبه يكون بنسب أكبر في الريف عنه في المدينة، لكون الريف يتمتع بإندماج اجتماعي و نفور من الانتحار أقوى منه في المدينة .

فالأشخاص المكلفون بتسجيل الوفيات هم قريبون إلى محيط المنتحر و بما أن عدد الأطباء قليل فهناك احتمالات كبيرة لحصول الأخطاء في وضع أسباب الوفاة ، فإذا كان هذا صحيحا يضيف "Besnard " فإن الفروق في نسب الانتحار بين الجنسين و بين مختلف فئات الحالة المدنية سيكون أقل في المدينة منه في الريف لأن هذه الفروق يفترض أن تعود لعملية " **الإخفاء** " و هذه الأخيرة تحدث في الريف أكثر من المدينة .

و هنا يلجأ " **بسنار** " إلى أرقام **دوركايم** ليبرر رأيه فحسب هذه الإحصائيات فإنه فيما يخص العزاب يزيد الفرق بين النساء و الرجال في الريف مقارنة بالمدينة ، لكن عكس ذلك هو السائد فيما يخص الأرامل أقل من 70 سنة و المتزوجين الأقل من 60 سنة، و يظهر التباين بين المتزوجين و العزاب من الرجال في الريف أكبر منه في المدينة « لكن نلاحظ عكس تلك النتيجة فيما يخص العلاقة عزاب / متزوجون، و كذا في الحالات الأخرى (أرامل / أزواج ، عزاب / أرامل رجال / نساء) إذن فرضية " **دوغلاس** " ليست منسجمة مع المعطيات إلا في حالة بعض الفئات العمرية » [49] .

بالإضافة إلى ذلك فإذا كان صحيحا أن نسب الانتحار كانت أكثر ارتفاعا في المدينة عنها في الريف منذ 100 سنة فالوضعية قد انعكست في القرن العشرين ، في فرنسا مثلا النسب مرتفعة أكثر في الريفو نفس الأمر لاحظه الباحث في دراسة أجريت على الإحصائيات الخاصة بولاية **بجاية** حيث توصل الباحث إلى أن نسب الانتحار أكثر ارتفاعا في الريف عنها في المدينة [50] ، و لا يوجد من الباحثين من أكد فرضية "Douglas " بل يضيف كل من " **Establet (R)** et **Boudelot (C)** " [51] ، بعد دراسة دقيقة لعملية تسجيل الوفيات بفرنسا بأنه « من الصعب إخفاء الانتحار ، فالطبيب الذي يشهد الوفاة عليه توضيح سبب الوفاة (و الذي يمكن أن يتلقى ضغوطا من المحيط حسب نظرية الإخفاء) فهو محكوم قانونا بضرورة إبلاغ الشرطة و العدالة في حالة الموت غير الطبيعي، مما يؤدي بهذه الأخيرة إلى فتح تحقيق، بالإضافة إلى أنه في حالة انتحار الشخص خارج منزله فسيكون هناك احتمال وجود شهود، و إذا انتحر بالمنزل قد يكون هناك شهود كذلك (جيران ، مارة أو آخرون)، و إذا استعمل سلاح ناري فإن الطلقة ستسمع و إذا قفز من مكان عال فإنه سيعثر عليه، و يضيف "Caron malenfant (E)" أنه في حالة الانتحار في مؤسسة عمومية (سجن) مستشفى ... الخ فإن من المستحيل إخفائه » .52

و خلاصة الأمر " هو أن الانتحار مسألة خاصة لكن إثبات الوفاة قضية عامة ، فالانطلاق من كون الوفاة عنيفة فإن الطبيب لن يكون وحده مع العائلة ، فالشرطة و العدالة و التأمينات و الرأي العام سيكونوا حاضرين كذلك " و النتيجة أنه إذا كانت هناك عملية إخفاء لحالات انتحار فما لا يمكن تجاهله هو أنها ليست إلا " **ظاهرة**

محدودة " [53] من بين الانتقادات كذلك نجد ذلك المتعلق بالتشبيه أو المماثلة بين محاولات الانتحار و الانتحار الكامل و التي تبدوا كخطأ متكرر في بحوث الانتحار .

يجب عدم الانجراف وراء المعنى الشائع حول هذا الموضوع حيث يفترض من خلال عبارة " **محاولة انتحار** " وجود نية عند المعني (الموت) و سبب فشل الفعل (الحادثة) ، فالفرق بين المحاولة و الانتحار يكمن فقط في النتيجة و هذه الأخيرة مرتبطة بصدى فاعلية الوسيلة و / أو بإمكانية اكتشاف الشخص المقبل على الانتحار من طرف آخرين في الوقت المناسب بعد إقدامه على فعله ، و من هنا يأتي الحكم الآخر الذي يرى بأنه من غير المناسب نعت الانتحار و محاولة الانتحار بأوصاف مختلفة، لأن كلاهما يتموقع في أقصى حدود الآلام التي تتشبث فيهما ، فهما متماثلان بطبيعتهما، إنها وجهة نظر تصطدم بمجموعة من الوقائع التي تعمل في غير صالحها فجدول الإحصائيات الخاصة بالانتحار يختلف تماما عن ذلك الخاص بمحاولات الانتحار ، من جهة أخرى إذا استطعنا الوثوق بالإحصائيات الخاصة بالانتحار فإن تلك الخاصة بمحاولات الانتحار تبدوا ذات مصداقية مشكوك فيها جدا، حيث أنه لا يتم تسجيل غالبا إلا المحاولات التي يتم نقلها إلى المستشفى مع أنه ليس كل من يقدم على محاولة انتحار ينقل إلى مستشفى .

و هناك حقيقة أخرى هو أن النساء يحاولن الانتحار أكثر من الرجال فحسب "Beachler (J) " فإن نتائج دراسات بالعينة أجريت في باريس ، ليون ، جنيف ، ملبورن و بريسبان و نيوكاسيل ، تاين و جوادا لخارا أكدت كلها أن المحاولة فعل نسائي فهن مسئولات عن 67.7 % إلى 76.6 % من المحاولات حسب نتائج هذه الدراسات [54]، كما لاحظ " Pierre Moron" على عينة فرنسية (تولوز) من بين 10000 حالة في المتوسط 5 نساء مقابل رجلين، و على مستوى 80 دولة حسب الأكاديمية الدولية للأبحاث حول الانتحار تبين أنه في 78 دولة تعتبر نسب الانتحار الأعلى عند الرجال منها عند النساء و يتباين المعدل بين الرجال و النساء ذ/أ من 1.2% (هونكونغ 1994) إلى 9.8 %(بحرين 1988) و هو بمعدل 3.6 % .

و الاستثناءان الوحيدان هما الصين، و التي قدرت بها نسبة الذكور و النساء على التوالي بـ 14.3 %/100.000 نسمة و 17.99%/ 100.000 نسمة سنة 1994 ، و سان فانسون و جرونادين حيث نسب الرجال و النساء كانت متساوية سنة 1984 بـ 100.000/0 و هناك عامل آخر هو أن نسب الانتحار عند النساء و الرجال ليست متماثلة : فعند الرجال يزيد الانتحار مع السن أي عند الشيوخ ، أما عند النساء فترتفع النسب حتى متوسط العمر ثم تعود للانخفاض فيما بعد [55] .

من هنا فإن الاعتقاد بامتلاكنا دليلا موضوعيا بفصلنا الانتحارات عن المحاولات من خلال مغالية الوسيلة المستعملة و كذا احتمال اكتشاف المقبل على الانتحار في الوقت المناسب يبدوا غير ملائم ، إذ من خلال هذا الاعتقاد فإننا نجعل من الانتحار و المحاولة الانتحارية واقعتين متجانستين أي أن كل الأشخاص يقومون بنفس الفعل و يتوقعون نفس النتيجة و لكن من بينهم من يفشل في فعله بسبب عدم تقديره لمدى فعالية الوسيلة المستعملة أو الإجراء المتبع و كذا الحظ في العثور عليه من طرف شخص ما قبل أن يقضي نحبه .

فكيف إذن نفسر تناول صيادلة و أطباء لجرعات غير قاتلة من الأدوية ؟ و أن أشخاصا يقدمون على محاولات متكررة ؟ إذا اعتبرنا احتمالا بأن المحاولة الانتحارية نمط سلوكي مستقل يخص أشخاصا يختلفون عن المنتحرين و أنهم لا يتوفرون على النية في الموت بتنفيذ فعل التدمير الذاتي، أخذين بعين الاعتبار مدى امتلاك الوسيلة و إمكانيات الاكتشاف من طرف الآخرين ليس باعتبارهم محكات للتمييز و لكن كمؤشرات لنيات المقبلين على الانتحار، يبدوا أنه ليس عبثيا أن الذين قضوا انتحارا قد اختاروا وسائل أكثر فعالية مقارنة بأولئك الذين قاموا بمحاولات، و إنه ليس عبثيا كذلك أن تحدث الانتحارات في النهار أكثر منها في الليل و خلال بداية الأسبوع أكثر منها في نهايته في حين يحدث العكس في محاولات الانتحار (إذا وثقنا في نتائج الدراسات السابقة مثل دراسة P. Mauron)و بدقة أكبر إذا كان صحيحا ضرورة عدم الاكتفاء فقط بنتيجة العقل كمحك،

و لكن نضيف كذلك النية في الوصول إلى النتيجة يمكننا بذلك التفريق بين الانتحار و محاولات الانتحار في أربعة فئات (مجموعات) [56] .

- الانتحار : (نية = موت + نتيجة = موت) (*)
- الانتحار الفاشل : (نية = موت + نتيجة = حياة)
- محاولة الانتحار : (نية = حياة + نتيجة = حياة)
- المحاولة الفاشلة : (نية = حياة + نتيجة = موت)

و يمكن توضيح هذا كله في شكل بياني

النتيجة / نية الموت	موت +	حياة −
موت +	انتحار	محاولة فاشلة
حياة −	انتحار فاشل	محاولة انتحار

من خلال هذا التقسيم يبدوا أن إحصائيات الانتحار قد بالغت في تقدير عدد الانتحارات بما أنها تضم كذلك المحاولات الفاشلة و لكنها بخست عدد الأشخاص الذين قاموا بفعل الانتحار بنية الموت ، لأن الانتحارات الفاشلة لم تدرج كذلك ضمن إحصائيات الانتحار ، إن هذه الطريقة في تحديد المفاهيم لا تمر دون أن تترك فخاخ باعتبار ليس فقط أننا غير قادرين على معرفة بدقة ما إذا كان المعني واعيا حقا بنياته الخاصة و ما إذا كانت هذه النيات واضحة بل يتعدى الأمر ذلك في كون هذا التحديد المفاهيمي يترك جانبا مجموعة من الوقائع التي تبدوا أنها تندرج ضمن الظاهرة الموسعة للسلوكات الانتحارية : أي السلوكات الخطرة التي تحمل مخاطرة الموت .

لكن هل يتعلق الأمر حقا بسلوكات انتحارية ؟ يرى " Caron malenfant (E)" أنها غير كذلك لأنها تختلف عن الانتحار و محاولات الانتحار في نقطة قد تكون أساسية : فالانتحار و المحاولة الانتحارية مصطلحان يعنيان نوعين من أفعال التدمير الذاتي ، أما السلوكات الخطرة فلا تفترض وجود أفعال مدمرة للذات

وكونها أفعال قام بها أشخاص لم تكن لهم نية إلحاق الأذى بأنفسهم أو المساس مباشرة بحياتهم ، و لكن هي سلوكات تقبل مخاطرة الموت التي ترافق هذا النوع من النشاطات (و التي من الممكن أن تكون هي سر جاذبية هذه الأفعال) .

خاتمة

تبدوا ظاهرة الانتحار معقدة تعقد الظاهرة الاجتماعية و استثنائية لأنها تخص قرار استثنائي لفعل يبقى شاذا و أسبابه قد تكون مدفونة في أعماق مرتكبه ، فإذا كانت الظروف الاقتصادية و الاجتماعية و القيم الثقافية والدينية تؤثر على تغيرات معدلات الانتحار فإن من بين العوامل الحاسمة كذلك نجد الاكتئاب و القلق الحاد والمزمن و سلوكات انتحارية لشخص من العائلة، فالسوسيولوجيا قد لا تفسر كل شيء و بالتالي فإن تعدد المقاربات يسمح بالإحاطة بصورة أفضل بالسلوك الانتحاري و الوصول إلى مسالك وقائية، تمكننا من وضع نموذج وقائي يعتمد عليه .

الهوامش:

1- Brian (M). Tousignant (M**), Comprendre le suicide ,P.U . M ,2004** , PP 16-17
(N) , **Le suicide en prison , L'harmattan ,** Paris , 1994 , P 23 . Bourgoin
2 - Ibid P 23 .
3 Aron(.R). **Les étapes de la pensée sociologique v2**, Cérès, Tunis , 1994 , PP 407-408
4 Dur kheim (.E) . **Le suicide .**ed. P.U.F. Paris, France, 1960 .P 5
5 Aron .(R), Op.cit – P 410 .
6 Brian (M). Tousignant (M**),** op.cit. P 17 .
7 - Bourgoin (N) , Op.cit – PP 26-27 .
8- حسن فايد ، **دراسات في السلوك و الشخصية ،** ط، ، مؤسسة طيبة للنشر ، القاهرة ، 2004 ، ص 298 .
9- Aron .(R.), Op.cit – PP 411-41.
10- Brian (M). Tousignant (M**),** op.cit PP18-19.
11- Bourgoin (N) , Op.cit – P 24 .
12- Ibid p 24 .
13- Brian (M). Tousignant (M**),** op.cit – P 19.
14- Dur kheim .(E). Op.cit – P 322 .
15- Brian (M). Tousignant (M**),** op.cit – PP 21 -22.
16- Bourgoin (N), Op.cit – P 26 .
17- Dur kheim (E). Op.cit – P 147.
18- Bourgoin , N , Op.cit – P 27
19- Dur kheim .E . Op.cit – P325 .
20- Ibid , P 325 .
21- Ibid , p 325.
22- Bourgoin (N) , P 28 **.**
23- Brian (M). Tousignant (M**),** op.cit – P 22.
24- Mauss (M)**. Préface aux causes du suicide –** Alcan, 1932 . PV 111 .IN : Bourgoin(N), Op.cit –P 31.
25- Ibid P 31.

26- Bourgoin (N) , Op.cit – P 27 .
27- Halbwachs (M). Les causes du suicide, Alcan 1932 . P 493 .
28- Beaudelot (C). Establet (R) « suicide : changement de régime , Maurice Halbwachs un observateur hors pair » : intervention au colloque M.H , Paris 1er décembre 2005 PP 4-5 .
29- Halbwachs (M), " compte rendu de M. Halbwachs , les causes du suicide et de Dur kheim (E) , le suicide " annales sociologiques, P 179 .
30- Halbwachs (.M). Les causes du suicide, op. Cit. P 495 .
31- Ibid. P 496.
32- Bourgoin (N) , Op.cit – PP 33-34 .
33- Ibid , pp 33-34 .
34- Ibid. PP35-36 .
35- Crozier (M), .E. Freidberg . l'acteur et le systèm , les contraintes de l'action collectifs, ed, seuil, Paris, 1977.
36- Lau .M.P, Exchange and power in social life , Wiley , 1964.P 19 in : Ibid P 42
37- Barth .(F). Process and form in social life : Selected essays , Vol 1 Rout ledge and kegan Paul, 1981 PP 49-50 , in : Ibid . PP 43-44 .
38- Heath (A). , Rational choice and social exchange, Cambridge University Press, 1976, p 7 .
39- Ibid . P 17 .
40- Heath (A)., op. cit. P79 . in : Ibid . P 46 .
41- Beachler (J) , Les suicides , Calman - Levy , Paris, 1975 . P 35 .
42- Ibid , PP 88 ET 89 .
43- Ibid , P 89 .
44- Ibid PP 90-91 .
45- Ibid , P 93 .
46- Caron malenfant (E),Causes et sens des suicides : une problématique Pré sociologique, mémoire présenté a la faculté de études supérieures de l'université Laval, pour l'obtention du grade de maître ès arts(M.A) dept .socio, Avril 2001, p 52 .
47- Ibid , P 53
48- Ibid P 55 .
49- Besnard (P) « Anti-ou anté – durkheimisme ? contribution au débat sur les statistiques officielles du suicide »,Revue française de sociologie, avril- juin1976,XVII-2,Paris,C.N.R.S PP322-323.
50- انظر : بوالفلفل إبراهيم : تحليل سوسيولوجي لظاهرة الانتحار في الجزائر (دراسة لإحصائيات في بعض ولايات الشرق الجزائري) مجلة البحوث و الدراسات الإنسانية ، جامعة 20 أوت 1955 – سكيكدة ، فيفري 2008- عدد 2 ، ص 218 -259 .
51- Boudelot (C) et Establet (R) : L'évolution séculaire d'un fait social , Economie et statistique , juillet- août 1984
52- Ibid .P68
53- Beachler.(J). Op.cit PP 394-395 .
54- Caron malenfant (E), Op.cit P 65 .

55- Establet (R) et Boudelot (C) opcit
56- Beachler.(J). Op.cit PP 394-395 .
57- Ibid , P 5 .
58- Beachler.(J). Op.cit PP 394-395 .
59- Ibid , P 5 .
60- Caron malenfant (E), Op.cit P 66
61- Halbawachs **(M), Les causes du suicide** . Op.cit P 65.